● **مفاهيم يجب أن تتمايز :**

يكمل ما ذكرناه أمر آخر لابد منه ، وهو التفريق الحاسم بين مفاهيم لا يجوز أن تختلط أو تتشابه ، بل يجب أن تتمايز وتتباين ، فأحد طرفيها يجب أن يكون فى موضع القبول ، والآخر يجب أن يكون فى موضع الرفض .

من ذلك :

١ - التفريق الحاسم بن العلمية والعلمانية :

فالعلمية فريضة شرعية وضرورة قومية ، وتأكيدها واجب الدعاة والمربين والمفكرين ، وأجهزة التوجيه كلها ، أما العلمانية فهى مرفوضة بكل معيار : معيار الدين ، أو معيار الديمقراطية ، أو معيار الدستور ، أو معيار الأصالة ، أو معيار المصلحة ، وتفصيل ذلك يطول ، فليرجع إليه فى كتابنا « الإسلام والعلمانية : وجهًا لوجه » .

٢ - التفريق الحاسم بين التفاعل الثقافى والغزو الثقافى :

فالتفاعل الثقافى مشروع ، بل مطلوب ، ولكن التفاعل إنما يكون من جانبين بين ندين ، يعطى كل منهما ويأخذ ، واعيًا مختارًا ، غير مكره ، ولا واقع تحت تأثير خاص ، فهو يأخذ ما يحتاج إليه ، وفق معايير مدروسة ، ويدع ما يدع تبعًا لمنطق معلوم ، محتفظًا بهويته وخصائصه ، غير مفرط فى قيمه ومبادئه ومقوماته المشخصة لذاته .

أما الغزو فهو من طرف قوى لطرف ضعيف ، أى من غالب قاهر ، لمغلوب مقهور مبهور بقوة غالبة ، فهو يأخذ منه ولا يعطيه ،

ويأخذ ما لا يحتاج إليه ، بل يأخذ ما لا ينفعه ، وإن كان ينفع صاحبه ، بل كثيرًا ما يأخذ الضار ويدع النافع ! .

٣ - التفريق الحاسم بين الدولة الإسلامية والدولة الدينية :

فالدولة الإسلامية كما جاء بها الإسلام ، وكما عرفها تاريخ المسلمين دولة مدنية ، تقوم السلطة بها على البيعة والاختيار والشورى ، والحاكم فيها وكيل عن الأمة أو أجير لها ، ومن حق الأمة - ممثلة فى أهل الحل والعقد فيها - أن تحاسبه وتراقبه ، وتأمره وتنهاه ، وتقومه إن اعوج ، وإلا عزلته ، ومن حق كل مسلم ، بل كل مواطن ، أن ينكر على رئيس الدولة نفسه إذا رآه اقترف منكرًا ، أو ضيع معروفًا ، بل على الشعب أن يعلن الثورة عليه إذا رأى كفرًا بواحًا عنده فيه من الله برهان .

أما الدولة الدينية « الثيوقراطية » التى عرفها الغرب فى العصور الوسطى والتى يحكمها رجال الدين ، الذين يتحكمون فى رقاب الناس - وضمائرهم أيضًا - باسم « الحق الإلهى » فما حلوه فى الأرض فهو محلول فى السماء ، وما ربطوه فى الأرض فهو مربوط فى السماء ! فهى مرفوضة فى الإسلام ، وليس فى الإسلام رجال دين بالمعنى الكهنوتى ، إنما فيه علماء دين ، يستطيع كل واحد أن يكون منهم بالتعلم والدراسة ، وليس لهم سلطان على ضمائر الناس ، ودخائل قلوبهم ، وهم لا يزيدون عن غيرهم من الناس فى الحقوق ، بل كثيرًا ما يهضمون ويظلمون ، ومن ثم نعلنها صريحة : نعم . . للدولة الإسلامية ، ولا ثم لا . . للدولة الدينية « الثيوقراطية » .

* * *

● **مخاوف** :

إن الصحوة هى معقد الأمل ، ومناط الرجاء لهذه الأمة ، بعد فشل الحلول المستوردة ليبرالية وثورية ، ولكنى لا أكتمكم أنى أخاف عليها ، كما يخاف الوالد على ولده ، فى فترة المراهقة وأوائل الشباب .

أنا لا أخاف على الصحوة من القوى الأجنبية المتربصة ، وهى لها بالمرصاد ، وهى قوى هائلة مقتدرة ، ولا القوى الداخلية المتسلطة ، وهى غالبًا ما تعمل لحساب تلك ، شعرت أم لم تشعر .

إنما أخاف على الصحوة من نفسها ، إذا لم تع دورها ، ولم تنتبه لما يحيط بها ، وما يخطط لها .

أجل أخاف عليها من عدة تيارات ، تتنازعها فى داخلها ، بأن يغلب أحد هذه التيارات - وهو مستبعد عندى - أو يؤدى تنازعها فيما بينها إلى إضعافها جميعًا ، هذه التيارات هى بإجمال شديد « أرجو أن أوفق إلى تفصيله فى بحث آخر » :

١ - **تيار الجمود والتزمت** : الذى يرفض الاجتهاد والتجديد ، والانفتاح على العالم ، ويبقى على كل قديم ، وإن لم يعد لزمننا صالحًا ، ويقاوم كل جديد ، وإن كانت الحاجة إليه ماسة . . تيار « الجمود الفكرى : المذهبى والحرفى » .

٢ - **تيار الغلو والتنطع** : الذى يحجر ما وسع الله ، ويشدد فى غير موضع التشديد ، ويقوم على التعسير لا التيسير ، والتنفير لا التبشير . . تيار « التطرف السلوكى » .

٣ - **تيار التهور والاستعجال والاصطدام بالسلطة قبل الأوان** : وبلا ضرورة ، تيار « العنف العسكرى » .

٤ - **تيار الاستعلاء على المجتمع** : والعزلة عنه ، والانسحاب من ميدان الإصلاح والتغيير ، تيار « التكفير والهجرة » .

٥ - **تيار التعصب الضيق** : الذى تنغلق به كل جماعة على نفسها ، مسيئة للظن بغيرها ، تيار « الانغلاق أو التشرذم الحزبى » .

٦ - **تيار الاستغراق فى السياسة المحلية الآنية** : وأعنى هنا تيار « الانهماك السياسى » ، والاشتغال عن جوانب أخرى فى غاية الأهمية مثل :

الجانب الدعوى : « التوعية على أوسع نطاق » .

الجانب التربوى : « تكوين الجيل المسلم المنشود » .

الجانب الاجتماعى : الذى برع فيه دعاة التنصير .

* * *

● **الصحوة تصحح نفسها** :

ورغم هذه المخاوف أقول : إن الصحوة بفضل الله قادرة على أن تصحح خطأها وتنفى خبثها ، وثقتى كبيرة أن « **تيار الوسطية** » الذى يعمل فى دأب وصبر ، فى توازن واعتدال ، وبوعى وتخطيط ، سيكون له الغلبة والهيمنة على كل التيارات الأخرى المخوفة .

وقد لمست بنفسى شيئًا من ذلك أوائل السبعينات ، مع شباب

الجماعات الإسلامية فى الجامعات المصرية ، فقد كان الخط السائد هو خط التشدد والتشنج والحرفية ، ولكن بعد لقاء الشباب بالدعاة المعروفين من أهل العلم والورع والاعتدال ، غلبت الوسطية على التطرف ، وغدا هذا التيار هو الغالب إلى اليوم .

والخلاصة : أن تيار الصحوة الإسلامية هو تيار الغد المرجو ، والمستقبل المأمول ، وخصوصًا أن عموده الفقرى هم الشباب ، وهم ذخيرة الغد .

ورغم المخاوف على الصحوة ، فإن آمالنا فيها أقوى ، وتيار الوسطية فيها هو الغالب السائد ، وهو المرتجى المأمول ، وكل المراقبين مجمعون على قدرة هذا التيار على تغيير الإنسان من داخله ، وإنشائه خلقًا جديدًا يقوم على الطهارة والبذل والعطاء ، لا على النفعية أو العبث أو التهريج أو اتباع الشهوات ، والسير فى مواكب النفاق .

إن الإسلام هو قدر هذه الأمة ، ولا خلاص لها إلا به ، ولا عزة ولا وحدة ولا نهضة لها بغيره ، كما أثبت ذلك التاريخ والواقع ، ولابد للعقلاء أن يعترفوا بهذه الحقيقة الناصعة ، وإلا ظلت قوى الأمة فى صراع دائم يتربص بعضها ببعض ، تقترب من الهدف ثم تنكص ، وترجع إلى نفسها ثم تنكس على رأسها . . وهكذا دواليك .

* * *

المستقبل لتيار الوسطية

أجل ، إن الشواهد كلها تدل على أن المستقبل لتيار الوسطية ، فهو الذى يملك القدرة على مخاطبة الناس بلسان العصر ، ويملك القابلية لتطوير نفسه ، ورفع مستواه ، وقد علمته الأيام رحابة الصدر مع المخالفين والتفتح للحوار مع الآخر . . وهو فى الوقت نفسه مستمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها : بثوابت الإسلام الذى لا يجمع الأمة غيره .

ولا غرو أن تكون قاعدته فى المجتمع أعرض ، وجمهوره أكبر ، كما أنه الأقدم زمنًا ، والأطول عمرًا ، ولهذا تنادى به الآن كبرى الجماعات والحركات الإسلامية المعاصرة وأقدمها : الإخوان المسلمون فى مصر والعالم العربى ، وامتداداتها فى العالم ، وكذلك الجماعة الإسلامية فى شبه القارة الهندية (باكستان ، وبنجلاديش ، والهند) وحزب الرفاه الإسلامى فى تركيا ، وحزب النهضة فى الجزائر ، وحركة الإصلاح والتجديد فى المغرب ، والجبهة الإسلامية القومية فى السودان ، على تفاوت بين هذه الجماعات فى الفهم والسلوك والممارسة .

أما حزب النهضة فى تونس ، وحماس فى الجزائر ، والتجمع الإصلاحى فى اليمن ، وجبهة العمل الإسلامى فى الأردن ، فكلهم محسوبون على الإخوان المسلمين .

ومن المعروف المؤكد اليوم : أن الإخوان بعد الخمسينيات طلقوا العنف تمامًا ، ونهجوا نهج التغيير الفكرى والتربوى والحضارى ، وغلب خط الوسطية والاعتدال عليهم ، وبرز ذلك فى كتاباتهم ، وقراراتهم ، وتوجيهاتهم ، إلا أفراداً قليلين منهم ، غلبت عليهم طبيعتهم فشذوا عن اتجاه الجماعة العام .

وقد تجلى ذلك فى البيان الذى أصدروه عن المرأة وعن التعددية منذ سنوات قليلة . ومن الظلم للإخوان أن يحملوا وزر عنف الجماعات الأخرى ، بدعوى أنها خرجت من تحت عباءتهم ! .

فالواقع - كما قال دكتور رضوان السيد بحق - أن جماعات العنف : تعتبر انشقاقًا عن الإخوان وليس امتدادًا لهم ، كما رأينا انشقاق « جماعة التكفير والهجرة » عن الإخوان فى السجن الحربى ، حتى كانوا لا يصلون معهم ، ورد عليهم الأستاذ الهضيبى كما ذكرنا من قبل .

أما جماعة الجهاد ، فهى تتهم الإخوان بالتخاذل ، والركون إلى الحكام الظلمة - أو الكفرة فى رأيهم - وخيانة مبدأ « الجهاد » الذى اتخذوه سبيلاً لهم ، ورجال الأمن يعرفون كم قامت معارك فى مدن الصعيد بين شباب الإخوان وشباب الجهاد ، وكم أصدروا منشورات معادية للإخوان ، فكيف يحمل الإخوان تبعة عنف هذه الجماعات ، وهذا موقفها من الإخوان ! .

لو صح هذا لكان علينا أن نحمل علىّ بن أبى طالب رضى الله

عنه « عنف الخوارج » وانحرافهم الفكرى الدموى ، لأنهم كانوا جنوداً فى جيشه ومن أنصاره ، فى أول الأمر ، ثم خرجوا عليه وكفروه وكفروا كل من معه ، فهل يتهم هو بأنهم خرجوا من تحت عباءته ؟

هذا التيار ، اليوم - تيار الوسطية - يتعاون مع المعتدلين من القوميين ، وقد كونوا معًا « المؤتمر القومى الإسلامى » ، وقد قبل المشاركة فى الحكم فى دولة غير خالصة للإسلام كما فى الأردن واليمن ، وفى دولة علمانية خالصة بل عريقة فى العلمانية كما فى تجربة « حزب الرفاه » فى تركيا .

وإن التيار الإسلامى الأصولى الوسطى - بحسن فهمه للإسلام ، وحسن فهمه للحياة وسنن الله فيها ، وحسن فهمه لهموم وطننا العربى والإسلامى الكبير ، وعمق نظرته إليها ، وحسن عمله بالإسلام ، وحسن دعوته إليه فى شموله وتوازنه وسعة آفاقه ، وجهاده الدؤوب لتمكين أحكام الإسلام وتعاليمه فى أرضه ، وتغيير الواقع المنحرف عن الإسلام أو المعادى له ، إلى واقع إسلامى صحيح - هذا التيار هو تيار المستقبل وسفينة النجاة لهذه الأمة .

وهو بتأييد الله تعالى ، وبفضل هذه الصحوة الفتية المباركة ، قادر أن يصل بوطننا وأمتنا الكبرى إلى بر الأمان ، « ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله » .

* * *

رقم الإيداع ٢٦ ٧٣ / ٩٧
الترقيم الدولى I.S.B.N.
977-225-108-6

obeikandl.com